مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 275- 291

اِحتياجات الطّفل الأدبيّة (القصّة) في مرحلة الطّفولة

The literary needs of the child storytelling during childhood

عبد الحق عزرة[1]، * علاوة كوسة[2]

[1] جامعة عبد الحفيظ بو الصّوف/ ميلة (الجزائر)، *a.azra@centre-univ-mila.dz*

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي.

[2] المركز الجامعي سي الحوّاس/ بريكة (الجزائر)، *allaoua.koussa@cu-barika.dz*

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي.

تاريخ الإرسال: 2025/03/30 تاريخ القبول: 2025/09/26

الكلمات المفتاحية:

الطّفل؛
مرحلة الطّفولة؛
النّموّ؛
الاحتياجات الأدبيّة؛
قصّة الطّفل؛

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان احتياجات الطفل الأدبية (القصة) في مرحلة الطفولة لبناء شخصيته وتهيئته للمستقبل، ويعتمد منهجاً وصفياً تحليلاً، يتتبع مراحل الطفولة (ما قبل الولادة، الرّضاعة، المبكّرة، المتوسطة، المتأخّرة، المراهقة) وخصائصها.

وتتمحور التساؤلات حول مراحل الطفولة وخصائصها، ونوع القصص الأنسب للنمو العقلي والنفسي في كل مرحلة. كما يبرز دور القصة في التربية النفسية والأخلاقية مع أمثلة من الأمهودات والقصص الخيالية والتاريخية.

Keywords:
Child,
stage childhood,
growth,
literary needs,
children's story,

ABSTRACT:

The study elucidates the child's literary needs (storytelling) during childhood stages to shape personality and prepare for future development.

It employs a descriptive-analytical methodology, tracing childhood phases (prenatal, nursing, early, middle, late, adolescence) and their characteristics.

Central questions address childhood stages and traits, alongside optimal story types for cognitive and psychological growth per phase.

It highlights storytelling's role in psychological and moral education via fables, fantasy, and historical narratives.

* عبد الحق عزرة.

مقدّمة:

تتّفق أغلب الدّراسات، والأبحاث النّفسيّة، والتّربويّة، والاجتماعيّة على أهمّية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان، إذ هي اللّبنة الأولى لبناء الفرد، وتكوين شخصيته، إعداده للمجتمع، والحياة. فقد نادى الفيلسوف سقراط (449- 399 ق.م) بضرورة معرفة النّفس البشريّة في مقولته الشّهيرة: "اعرِف نفسك"، والّتي يهدف بها إلى دراسة الإنسان من جميع الجوانب، وقد وصل صيتها إلى المفكّر جون جاك روسو (1712- 1778م) الّذي ضيّق دائرة هذه المعرفة، مركّزا على الطّفل، حيث نادى في البشريّة قائلا: "اِعرفوا الطّفولة"[1]. في دعوة صادقة وجادّة منه إلى ضرورة العناية بالطّفل، والعمل على تنشئته التّنشئة السّليمة، ولن يتأتّى لنا ذلك إلّا باتّحاد بعض العلوم النّفسيّة، والإنسانيّة والاجتماعيّة...

إنّ معرفة النّفس البشريّة بوجه عام، -والطّفل بصفة خاصّة- توجب علينا الإحاطة بجميع الجوانب الّتي لها علاقة بنموّه من قريب، أو بعيد؛ انطلاقا من الأسرة الّتي تمثّل البيئة الضيّقة التي ولد فيها، إلى الشّارع، المدرسة المسجد، والمجتمع، أين يتّسع الفضاء من حوله، وتتنوّع متطلّباته، وتتشعّب احتياجاته، باعتبار أنّ نموّ الطّفل يمرّ بعدّة مراحل منذ تكوّنه في رحم الأمّ، إلى ميلاده، إلى تنشئته، وحتّى خروجه من مرحلة الطّفولة، وكلّ فترة فيها تختلف عن غيرها، لما يصحبها من تغيّرات جسميّة، ونفسيّة، وعقليّة، ومعرفيّة، تعدّ مرتكزا لبناء شخصيته، ولكلّ فترة منها خصوصياتها، واحتياجاتها.

وحاجة الطّفل إلى الأدب لا تقلّ أهمّية عن حاجته إلى متطلّبات الحياة، والعيش، ذلك لأنّه —الأدب-خزّان لكلّ ما من شأنه أن يفيد الطّفل في حياته تربويّا، وأخلاقيّا، واجتماعيّا، لذا كان من الضّروريّ الالتفات إلى هذا الجانب. ثمّ إنّ تربية الطّفل عمليّة ليست بالسّهلة، لخصوصيّة المرحلة العمريّة الّتي يعيشها، وليست كلّ فنون الأدب مستساغة عنده، كما أنّ المستوى الفكريّ، والمعرفيّ للطّفل يستدعي لغة بسيطة، وأسلوبا مشوّقا، وأنماطا تعبيريّة متفرّدة عمّا نجده عند الكبار، لذا باتت القصّة -وتحديدا قصص الأطفال- أنسب فنون الأدب للطّفل، لما تتضمّنه من مقوّمات تتلاءم وعمره، حيث أثبتت الدّراسات والأبحاث نجاعة ما يصطلح عليه: "التّربية بالقصّة". حيث يُعتمد عليها في تربية وتثقيف الطّفل، وعليه؛ فالإشكالية التي يفضي إليها عنوان هذه الدّراسة هي: **ما هي الاحتياجات الأدبيّة للطّفل في مرحلة الطّفولة؟ وما هي القصص الّتي تتناسب والنّموَّ العقليّ، والمعرفيّ، والنّفسيّ، والعاطفيّ، للطّفل في كلّ مرحلة؟**

والإجابة عن هذه الإشكاليّة تستدعي الوقوف عند الأسئلة الفرعيّة الآتية:

1/ ما هو مفهوم الطّفل؟ وما تعريف الطّفولة؟ وما هي مراحلها؟ وما المقصود بالاحتياجات الأدبيّة؟

2/ ما معنى النّموّ؟ ما هي خصائصه في كل مرحلة من مراحل الطّفولة؟

3/ أيّ نوع من القصص أنسب، وأفيد للطّفل في كلّ مرحلة من هذه المراحل؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات وغيرها، وجب -قبل إثبات حاجة الطّفل إلى القصّة- التّعريج على تبسيط مفاهيم عديدة منها: التّعريف بالطّفل، الطّفولة، النّموّ، الاحتياجات الأدبيّة، قصّة الطّفل...

1. معنى الطّفل في المعاجم العربيّة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادّة (طفل): "الطِّفْلُ: النَّبَاتُ الرَّخِصُ المحْكَمُ. بِالفَتْحِ: الرَّخِصُ النَّاعِمُ، (ج) أَطْفَال. يَقُولُ أَبُو الهَيْثَمِ: الصَّبِيُّ يُدْعَى طِفْلاً حِينَ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ"[2]. وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي: "الطِّفْلُ بِالكَسْرِ: الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَوَلَدُ كُلِّ وَحْشِيَّةٍ أَيْضاً"[3]. وفي معجم العين للفراهيديّ: "أَطْفَلَتِ المرْأَةُ، وَالظِّبْيَةُ، وَالنَّعَمُ، إِذَا كَانَ مَعَهَا وَلَدٌ طِفْلٌ، فَهِيَ مُطْفِلٌ"[4]. وفي المعجم الوسيط: "طَفُلَ طُفُولَةً، وَطِفَالَةً: نَعُمَ وَرَقَّ، وصَارَ طِفْلاً، وَالطِّفْلُ المَوْلُودُ مَا دَامَ نَاعِمًا، رَخِصًا، وَالوَلَدُ حَتَّى البُلُوغِ"[5].

إنّ تعريفات الطّفل المتضمَّنة في المعاجم السّابقة، لا تكاد تختلف من حيث المعنى، إذ تشترك جميعها في معنى واحد، مفاده أنّ الطّفل هو الصّغير من كل شيء، ذكرا كان، أم أنثى، ويدخل في ذلك الحيوان، وأنّه في سنّ العجز عن الاعتماد على النّفس في كلّ شيء، وقد ألصقت به _المعاجم_ صفات النّعومة، والرّقة، والضّعف، وأنّه يسقط عنه اسم (طفل) بمجرّد بلوغه، ونضجه.

2. معنى الطّفل في الاصطلاح:

ورد لفظ "الطّفل" في القرآن الكريم بعدة مصطلحات تصب كلّها في خانة الدّلالة على المولود الصّغير وهذه الألفاظ هي: الطّفل، الصبي، الغلام، الفتى، الولد. ويتّضح من خلال سياقاتها في الآيات الكريمات أنّ الطّفل هو الولد ما لم يصل البلوغ، بصرف النّظر عن جنسه، لذا أولاه الإسلام عناية بالغة، وأوصى به خيرا، كما أوجب على الوالدين إحسان تربيته، وتنشئته على الخلق الحميد الفاضل.

وقد تشعّبت تعريفات الدّارسين للطّفل، كلٌّ حسب تخصّصه، وتوجّهاته، فهو عند الفقهاء إنسان غير بالغ، وغير مكلّف، وعند علماء الاجتماع هو "الصّغير منذ ولادته، إلى أن يتمّ نضجه الاجتماعيّ، والنّفسيّ وتتكامل لديه مقوّمات الشّخصيّة، وتكوين الذّات، وبلوغ سنّ الرّشد"[6]. أمّا عند علماء النّفس فهو "الإنسان مكتمل الخِلقة والتّكوين، الّذي لم يصل بعد لمرحلة النّضج، ولم تظهر عليه علامات البلوغ، مهما امتلك الفرد من قدرات، ومميّزات عقليّة، وسلوكيّة، وعاطفيّة"[7]. وقد عرّفته اتفاقية الأمم المتّحدة لحقوق الطفل بأنّه "كلّ إنسان لم يتجاوز الثّامنة عشر، فكلّ كائن إنسانيّ لم يبلغ هذا العمر، فهو يعتبر طفلا"[8]. ويقول إسماعيل عبد الفتّاح عن الأطفال: "هم القطاع الممتدّ من عمر الإنسان منذ الميلاد، حتّى سنّ الاعتماد الكامل على الذّات"[9]. أمّا روسو فيرى أنّ "الطّفل كان دائما كائنا كاملا، ولكن ليس بالمعنى الذي نرى به الرّجل في الطفل، وإنّما بالدّلالة الّتي ترى أنّ الطفولة مرحلة متميزة عن المراحل النّمائيّة الأخرى للإنسان، تتمتّع بخاصّية السّير الطّبيعيّ نحو الاكتمال"[10].

إنّ هذه التّعريفات تكشف عن نظرة موحّدة للباحثين، والدّارسين في كون الطّفل ذلك الصّغير المعتمِد على غيره في كثير من المواقف، والاحتياجات البيولوجيّة، والنّفسيّة، والعقليّة، والاجتماعيّة، فهو إذن مشروع إنسان كبير في طور التّكوين، فلا بدّ من الاهتمام به، وتلبية احتياجاته، ومتطلّباته الأساسيّة من جميع الجوانب.

3. معنى الطّفولة:

الطّفولة هي ذلك العالم البريء، العامر بالحركة، والنّشاط، والخيال، والأحلام، وأرض الزّرع لبناء المستقبل، وقد عرّفها محمد برهوم، ونايفة القطامي بأنّها: "تمتدّ ما بين المرحلة الجنينيّة، ومرحلة الرّشد (...)، وتعبُر الطّفولة بالفرد من مرحلة العجز، والاعتماد على أولياء الأمور، إلى مرحلة الاعتماد على النّفس، تبعا لقدراته واستعداداته، وتنشئته الاجتماعيّة"[11]. وهي عند أحمد زلط: "مرحلة عمريّة من عمر الكائن البشريّ، وتتّسم بأطول، وأدقّ مرحلةِ طفولةٍ بين سائر المخلوقات"[12]. بينما يراها نعمان الهيتي: "تشكّل عالما قائما بذاته، إلّا أنّ ما يَصدُق على الأطفال في عمر معيّن، لا يصدق على أطفال آخرين في عمر آخر"[13]. أمّا محمّد حسن بريغش فيعُدُّها "المرحلة الأولى من مراحل العمر للإنسان، تبدأ من الولادة، وتنتهي عند البلوغ[14].

باستقراء التّعريفات السّابقة يتّضح لنا بأنّ الطّفولة هي تلك الفترة الزّمنيّة المبكّرة في حياة الإنسان، حيث تنحصر زمنيّا ما بين الولادة، وسنّ البلوغ، وهي المحطّة الأولى في عمره، ولها أهمّية بالغة، لأنّها تعدّ تمهيدا للمستقبل وهي الأساس، والقاعدة، والمنطلقُ للمراحل العمريّة اللّاحقة. وتكون عند الإنسان والحيوان، لكنّهما متمايزتان، إذ أنّها عند الإنسان أطول منها عند الحيوان.

4. معنى النّموّ، ومظاهره:

جاء في لسان العرب لابن منظور "النَّمَاءُ: الزِّيَادَةُ. نَمَى يَنْمِي نَمْياً وَنُمِّيّاً، وَنَمَاءً: زَادَ، وَكَثُرَ، وَرُبَّمَا قَالُوا: يَنْمُو نُمُوًّا، وَأَنْمَيْتُ الشَّيْءَ، وَنَمَّيْتُهُ: جَعَلْتُهُ نَامِيًّا"[15].

أمّا اصطلاحا؛ فهو "سلسلة من التّغيّرات المختلفة الجوانب، الّتي تهدف إلى غاية مرتبطة باكتمال النضج واستمراره، وهو يحدُث بطريقة خاصّة، تحكمها مجموعة من العوامل الدّاخليّة، والخارجيّة التي تؤثر في الإنسان"[16]. و"يكون كمّيّا في جانب، وكيفيّا في جانب آخر، وهما يجريان معا. فالطّفل تنمو أعضاء جسمه، وتنمو في نفس الوقت وظائف هذه الأعضاء"[17]. فهو إذن مجموعة عمليّات تكوينيّة، مترابطة، ومتكاملة، يمرّ بها الإنسان منذ خلقه إلى وفاته. ومن مظاهر النّموّ: النّموّ الجسميّ، الفسيولوجيّ، الحركيّ، الحسّيّ، العقليّ المعرفيّ، اللّغويّ الانفعاليّ، الاجتماعيّ، الجنسيّ، الدّينيّ. والعلم الّذي يتولّى دراسة هذه التّغيّرات، والتّطوّرات ذات العلاقة بالقدرات الذّهنيّة، والجسميّة، والانفعاليّة، ليصل إلى النّضج، هو علم النّفس النّموّ.

5. معنى الاحتياجات الأدبيّة:

الحاجة هي كلّ ما يفتقر إليه الفرد، أو يفتقده، أو هي شعور بعدم امتلاك الشّيء رغم ضرورته، وأهمّيته كالحاجة إلى الماء، والغذاء، وغيرهما. وتتنوّع احتياجات الإنسان من احتياجات بيولوجيّة كالغذاء والماء، إلى احتياجات عاطفيّة كالحنان، والحبّ، إلى احتياجات اجتماعيّة كالأمن، والعدالة، إلى احتياجات اقتصاديّة كالعمل إلى احتياجات تربويّة كالتّعليم، والتّربية، التّهذيب... والمقصود بالاحتياجات الأدبيّة عند الطّفل – وتحديدا إلى القصّة – هو إشباع ذلك الافتقار الأدبيّ الّذي يعاني منه الطّفل، من أجل إثراء قاموسه اللّغويّ، وتهذيب أخلاقه وإمداده بالخبرات، وإعداده للمستقبل بزاد معرفيّ معقول، والقصّة أقدر فنون الأدب على تحقيق تلك الغايات.

6. معنى القصّة – قصّة الطّفل:

جاء في لسان العرب في مادّة (قصص): "القصّة: الخبر، وهو القصّ. قصّ عليّ خبره، يقصّه قصّا وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص. بالفتح: وضع موضع المصدر، حتّى صار أغلب عليه، والقِصص بكسر القاف: جمع القصّة الّتي تكتب"[18]. ويُفهم من هذا أنّها تلك الأخبار المنقولة، والمروّيّة لغائبٍ زمنَ وقوعها. كما تعني اقتفاء الأثر، وتتبّعه، نحو قوله تعالى: "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ"[19].

وفي المعاجم الغربيّة وردت القصّة بمعنى إيراد الخبر، وطريقة سرده، فلفظ قصة Story بشكل عامّ في الإنجليزيّة من الأصل اللّاتينيّ Historia الّذي يعني التّاريخ Historie والّذي يشير إلى العمليّات الخاصّة بسرد قصّة، أو حكاية، أو مجموعة أخبار، وكذلك طريقة سردها، ويشير كذلك إلى سلسلة الوقائع، ويمكن أن تكون القصّة حقيقية، أو مختلَقة، طويلة، أو قصيرة، كاملة، أو ناقصة، شفاهية، أو مكتوبة، ممكنة، أو مستحيلة والقصة يمكن أن توجد في الفنون الأدبيّة كلّها: في الشّعر، والرّواية، والمسرح، والقصّة القصيرة"[20].

أمّا اصطلاحا؛ فهي فنّ أدبيّ نثريّ عريق، يقدّم للمتلقّي الدّروس، والعِبر، والمتعة. يعرّفها يوسف نجم بأنّها "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة، أو حوادث عدّة، تتعلّق بشخصيّات إنسانيّة مختلفة، تتباين أساليب عيشها، وتصرّفها في الحياة"[21]. وهي عند محمّد حسن عبد الله: "مصطلح فنّيّ أساسه التّعبير عن تجربة إنسانيّة في شكل حكاية، بلغة تصويريّة مؤثّرة"[22].

وقصص الأطفال فرع من فروع القصّة، فهي "لون قرائيّ فنّيّ متعدّد المضامين، يكتبها الكبار للأطفال وتشتمل على عناصر بناء القصّة عند الكبار، مثل الحدث، الشّخصيّة، بيئة القصّة الزّمانيّة، والمكانيّة، السّرد القصصيّ، العقدة الفنّيّة، الانفراج، ويراعي كاتب القصّة تبسيط تلك العناصر، لتناسب المراحل العمريّة النّمائيّة عند الأطفال، وقدراتهم على الاستيعاب، والتّلقّي"[23]. ويعرّفها العيد جلّولي بأنّها: "شكل من أشكال الأدب ووسيلة من وسائل التّعبير، تميل إليها نفوس الأطفال لِما فيها من متعة، وفائدة، وحركة، وحياة، وتجدّد، ونشاط ولها عناصر، ومقوّمات تتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم، وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم، والتّذوّق"[24].

أنّ أسلوب الحكي في قصص الأطفال – بما يرتكز عليه من عناصر، وما يحتويه من خيال، ولغة بسيطة وتشويق، وما يتخلّل تلك الأحداث من متعة، ورسائل مبطّنة — يجذب ذهن الطّفل، ويأسره، لذلك وجدنا القصّة أحبّ فنون الأدب النّثريّة إلى قلبه، وتلك – للكبار– فرصة ثمينة من أجل تربية الطّفل، وتهذيب سلوكه، وغرس القيم فيه، وبناء شخصيّته، وتعويده على الإيجابيّة قولا، وفعلا مع ذاته، ومع غيره.

7. مراحل الطّفولة عند أحمد محمّد عامر:

لقد اهتمّ الباحثون، والمختصّون في مجال الطّفولة بدراسة احتياجات الأطفال في المرحلة الأولى من حياة الإنسان، وأفردوا لها مصنّفات كثيرة، وقد كانت تقسيماتهم للمرحلة تقديريّة، ومتباينة، ووفقا للنّموّ، والتّطوّر، لكنّ "معظمها أغفلت مرحلة ما قبل الولادة، وهي القاعدة السّليمة، والصّالحة لنموّ إنسان عاقل، يحمل مورّثات أبويه في الأخلاق، والعلم"[25]. وقد وقع الاختيار على ما أورده الشّيخ المقرئ أحمد محمّد عامر[26] من تقسيم للمرحلة

لأنّه الأقرب من المنطق، والعقل، حيث استند فيه إلى ما جاء في القرآن الكريم عن الطّفل منذ خلقه في رحم الأمّ فالولادة، فالنّشأة، وأخيرا إشرافه على الرّشد، ونجده رتّب الفترات الّتي يمرّ بها نموّ الطّفل على النّحو الآتي:

أ. "مرحلة ما قبل الولادة: وهي الّتي تكون في بطن الأمّ، وتستمرّ ما بين 250، يوما إلى 310 أيّام، وهي فترة التّكوّن، والتّشكّل؛ (نطفة_ علقة _ مُضغة _ عظام _ لحم).

ب. مرحلة سنوات المهد: من الميلاد إلى نهاية العام الثّاني، وفيها يكون النّموّ الجسميّ، والعقليّ والانفعاليّ.

ج. مرحلة الطّفولة المبكّرة: من سنّ 03 سنوات إلى 05 سنوات، وفيها يبدأ النّموّ الحسّيّ، والحركيّ، والعقليّ.

د. مرحلة الطّفولة المتوسّطة: من سن 06 إلى 08 سنة، ينمو فيها التّفكير، ويزداد النّشاط العقليّ، والحركيّ.

هـ. مرحلة الطّفولة المتأخّرة: تكون ما بين سنّي 09 سنوات، و12 سنة.

و. مرحلة المراهقة: وتكون بعد سنّ 12 سنة، وهي الفترة الّتي تسبق مرحلة النّضج، والرّشد"[27].

إنّ التّربية المثاليّة هدفها "الأخذ بيد النّشء إلى أفضل الطّرق، لتنميتهم جسديّا، وعاطفيّا، وعقليّا واجتماعيّا، ومعرفة، ومهارةً"[28]. فالطّفل صفحة بيضاء، نكتب، ونبصم فيها ما نشاء، فيتأثّر بذلك، ويسجّله ويتطبّع به، لأنّه –الطّفل– "أرض صالحة للاستنبات، وكلُّ ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصّفات وكلّ ما يبذر فيها من بذور الشّرّ، والفساد، أو الغيّ، والضّلال، يُؤتِي أُكلَهُ في مستقبل الطّفل، ويأخذ السُّبُل المستقيمة، أو المنحرفة"[29]. ونجد جون جاك روسو في معرض حديثه عن طفله يقول: "إنّ الغرض الأساسيّ من تربيته هو أن أعلّمه كيف يشعر، ويحبّ الجمال في أشكاله، وأن أُرسِّخ عواطفه، وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النّزول إلى الخبيث المرذول، فإذا أتمّ ذلك، وجد طريقه إلى السّعادة ممهّدا"[30].

وقد عنيَ الكبار منذ القديم بالطّفل، بهدف تنشئته بطريقة سليمة، فقد "كان الإستصباء – الّذي يعني تلبُّسَ الكبير بأحوال الصّبيّ، ويحاكيه في أفعاله، وأقواله – من الأمور المألوفة لدى العرب، من أجل أن يربّوا أطفالهم، ويُمتِّعوهم"[31]. وبناء على ذلك؛ فإنّ الطّفل في مرحلة الطّفولة يحتاج إلى الأدب بكلّ فنونه، فإذا كان الطّعام غذاء للجسم، فإنّ الأدبَ غذاءٌ للعقل، وتهذيبٌ للنّفس، والقصّة – بوصفها فنّا أدبيّا – تحقّق للطّفل ذاك المبتغى. فالأدب بصفة عامّة "لا يهدف إلى إمتاع الطّفل، وجَعْلِه يعيش حاضره فحسب، بل يهدف في الوقت نفسه إلى إعداده للمستقبل"[32]. وبذلك فهو يساعد في النّموّ العقليّ، والإدراكيّ، والنّفسيّ، والعاطفيّ، واللّغويّ والاجتماعيّ، ويبني شخصيّة الطّفل، ويجهّزه للمستقبل مزوّدا بزاد عظيم.

8. مراحل الطّفولة، والقصّة:

أ. مرحلة ما قبل الميلاد: Pre-birth stages

تبدأ هذه المرحلة من لحظة الإخصاب، وتكوين البُويضة المنقَّحة في رحِم الأمّ، حتّى الولادة، وفيها يتطوّر نموّ الجنين قبل اكتماله، وخروجه من بطن أمّه. يقول الله تعالى في محكم التّنزيل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ، فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ، وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ، وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ

العُمُرِ، لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا..."[33]. ويقول أيضا: "هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ..."[34]. فالآيتان الكريمتان تذكران بالتّفصيل تطوّرات النّموّ الجسميّ للإنسان، بدءا من لحظة التّكوين إلى الوفاة، ومن المؤكّد أنّ هذا النّموّ – الجسميّ- لا يكون لوحده، إنّما ترافقه وتصحبه أصناف أخرى للنّموّ، كالنّموّ العقليّ، والانفعاليّ...

والملاحظ في فترة الحمل أنّه "يتأثّر نموّ الجنين بشكل عامّ بالعوامل البيئيّة الخارجيّة، والعوامل النّفسيّة الدّاخليّة للأمّ الحامل، أمّا الولادة؛ فهي مرحلة انتقال الطّفل من الاعتماديّة الكلّيّة على الأمّ في كافّة العمليّات الحيويّة، إلى مرحلة الاستقلال النّسبيّ"[35]. فالجنين قبل ميلاده يعتمد على أمّه في التّغذية اعتمادا مطلقا، وذلك عبر الحبل السُّرّيّ، ويتأثّر سلبا، وإيجابا بانفعالاتها، وحالاتها النّفسيّة، كما يمكن للجنين أن يسمع حديثها، لذا يَحسُنُ بالأمّ في هذه الفترة أن تُدمِن قراءة القرآن، لنفعِه الكبير في راحتها النّفسيّة، ولأثره العظيم في الجنين، وأن تحافظ على راحتها الجسديّة، تفاديا لمضاعفات تضرّ بصحّتها، وصحّة جنينها.

ب. مرحلة الرّضاعة: Lactation stage **من الميلاد إلى نهاية 02 سنة**

لقد أثبت القرآن الكريم هذه المرحلة في قوله تعالى: "وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ، وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمعْرُوفِ..."[36]. فالطّفل يشهد فيها نموّا جسميّا، وحسّيّا وحركيّا، وعقليّا، وانفعاليّا، واجتماعيّا. والرّضاعة –كما هو معلوم – "ليست مجرّد إشباع لحاجة الطّفل الفسيولوجيّة فقط، بل هي نافذة حسّاسة للتّفاعل العاطفيّ بين الطّفل، وأمّه، فاتّجاه الأمّ نحو عمليّة الرّضاعة له أهمّيّة كبيرة في بناء الانفعالات الإيجابيّة، والسّلبيّة لدى الطّفل، وإذا كان تفاعل الأمّ مليئا بالحبّ، والحنان والدّفء، كان الطّفل هادئا مستقرّا"[37]. وفي هذه الفترة تظهر الأسنان، وتنمو العضلات، ويزداد الطّول، والوزن وتبرُز المهارات الحركيّة؛ كالحبو، والجلوس، والمشي. ويتأثّر الطّفل حسّيّا، وانفعاليا، ويستجيب للمؤثّرات الخارجيّة وقد أثبتت الدّراسات أنّ الطّفل "يعرف الخوف، والقلق، والفرح، منذ وجوده في هذا العالم"[38].

وأبرز ما يمكن تقديمه من أدب للطّفل في هذه المرحلة يندرج ضمن فنّ الشّعر، ممثّلا في أغاني المهد (الأمهودات)، وأغاني التّرقيص، والأناشيد. إذ أنّ الأغاني الطّفليّة، والأمهودات تحمل في ثناياها أنغاما عذبة تدغدغ نفسيّة الطّفل، فيحبّها، ويستسلم لها، وإذا راجعنا التّاريخ العربيّ وجدنا أنّ "القدامى من العرب تفطّنوا إلى أنّ أُذَنَ الطّفل ترتاح للأناشيد، والأغنيات الخفيفة، إذ لاحظوا أنّ هذا الطّفل يتملّكه الطّرب، فيهتزّ مع اهتزاز أوتار الأصوات الّتي تلقي المقطوعات الشّعريّة"[39].

لقد أدرك الإنسان أنّ الإيقاع يثير أذن الطّفل منذ الولادة، لذا تكفّلت الجدّات، والأمّهات، والأخوات بمهمّة ترديد التّرانيم بكلام مسجوع، وصوت حنون، تستملحه الأذن، مبتدئات بأغاني المناغاة، والهدهدة، ثمّ أغاني الترقيص، والأناشيد، وذلك بهدف إيقاف صراخ الطّفل، أو تنويمه، أو ترقيصه، أو الفرح به، أو مداعبته، أو تنفيسا عن حالة نفسيّة تعيشها الأنثى الّتي تحمله.

ج. مرحلة الطّفولة المبكّرة: Early childhood من 03 سنوات إلى 05 سنوات

وهي الّتي تسبق الالتحاق بالمدرسة، وبمقارنتها بالفترة السّابقة نلاحظ تأخّرا في النّموّ الجسميّ، بينما يتسارع النّموّ العقليّ، ويعتمد الطّفل في إدراك الأشياء على حواسه كالبصر، فيستوعبها بملاحظة صفاتها الحسّيّة كما يستطيع التّعرّف على البيئة المحيطة. ويرتكز نموّه على الفعل والحركة، فيتعلّم الخبرات، ويكتسب مهارات حركيّة عديدة، كما ينمو رصيده اللّغويّ، وتظهر معالم شخصيّته، فينهل من القيم التّربويّة.

وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الخيال المحدود بالبيئة، حيث يكون خياله إيهاميّا، فهو يلازم أبويه، وبخاصّة الأمّ، وتكون بيئته ضيّقة كالبيت، وما "يحيطه من حديقة، أو شارع، أو ما يشاهده فيها من حيوانات، ونباتات وهنا يكون خيال الطّفل حادّا – وإن كان محدودا — وقوّة الخيال تجعله يتخيّل الكرسي قطارا، والعصا حيوانا وهذا النّوع من خيال التّوهّم هو الّذي يجعل الطّفل يتقبّل بشرف القصص الّتي تتكلّم فيها الحيوانات، والطّيور"[40].

ومن سِمات طفل هذه المرحلة أيضا فرط الحركة، وعدم الاستقرار، والميل إلى اللّعب كثيرا، ما يشعره بالمتعة والذّكاء ويمنحه الخبرة، فهو في فترة الدّخول إلى الحضانة، والرّوضة. كما "يكون نموّ الشّخصيّة نموّا سريعا فيها حيث يبدأ التّفاعل مع البيئة الخارجيّة، والمحيطة به، ممّا يمكّنه من التّعامل بوضوح مع بيئته، مقارنة بمرحلة المهد، وتبدأ عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة، فيتعلّم فيها التّمييز، وإن كان لا يفهم لماذا هو الصّواب، والخطأ"[41]. كما يرسم في ذهنه تصوّرات لأشياء غير موجودة، أو مغايرة لصورتها في الواقع، "فيكثر من الأسئلة، ويبدي استعدادا للتّعلّم والاستكشاف، ويتأثّر بالمدح، والتّوبيخ، ويكون عالمه محدودا ضيّقا، يدور في فلك الأب، والأمّ، والجيران، والباعة المتجوّلين في الشّارع، والألعاب الّتي يلعب بها"[42]. لذا نجده يتمثّل سلوكيّات غيره دون أن يعيها، ويميل إلى محاكاة الآخرين، "وفي أغلب الأحيان يحاول تقليد الراشدين، فيلعب دور الأم، والمعلم، والشّرطيّ..."[43].

ويتعامل طفل هذه المرحلة مع الأدب تعاملا حسنا، إذ تستميله القصص، والأغاني المسجوعة، فهو يستسيغ الصّوت، والنّغم لا المعنى، لذا يجب "تقديم نوع من الأدب المسجّل، والبرامج المعدّة بالصّوت، والصّورة وفق شروط محدّدة، تتناسب مع هذه المرحلة من حيث اختيار الموضوعات، واستخدام المفردات، وانتقاء الأسلوب الملائم للطّفل، لتقديم ما يفيده، ويمتعه، ويناسبه"[44]. لأنّه يدرك، ويفهم من التّعبير المسموع، وإيحاءات الصّور والمشاهد، لا من اللّغة المكتوبة، فهو يجهلها، حيث تجذبه قصص الخرافة، والخيال، و"يميل إلى التّمثيليّات الّتي تتكلّم فيها الحيوانات، والطّيور. فهو في هذه المرحلة يسعى إلى تجسيد القصص الّتي يتلقّاها، وهذا ما يؤكّد مدى قبوله لقصص تنطوي على موضوعات، وشخصيّات مألوفة كالأمّ، والأب، والإخوة"[45].

وتجب الإشارة في هذا المقام إلى أنّ أطفال هذه الفترة لا يناسبهم "كلّ ما ينطوي على إثارة مخاوفهم كقصص الجان، والعفاريت، والسّحرة، وقصص العنف، والإجرام، لأنّ مثل هذه الخبرات بعيدة عن بيئتهم، كما أنّها بعيدة عن آفاق خيالاتهم"[46]. بل تناسبهم تلك القصص "الّتي تحتوي على شخصيّة مألوفة من الحيوانات، أو النّباتات، أو شخصيّات بشريّة معروفة، كالأمّ، والأب، والأطفال الصّغار مثله، مثل قصّة النّملة، والصّرصور، ذات القبّعة الحمراء، ليلى، والذّئب..."[47].

ويستحسن أن نسمّع لطفل هذه المرحلة قصصا من القرآن الكريم، ومن سيرة الأنبياء، والمرسلين، ونقدّم له قصصا قصيرة، قليلة الأبطال، سريعة الحوادث، مشوّقة، ممتعة، مسلّية، هادفة، تعليميّة، وخالية من الأحداث المفزعة، مع ضرورة مراعاة حجم، وطول هذه القصص، موازاةً مع سنّه، "ففي السّنّ الصّغيرة قبل خمس سنوات يجب أن لا تستغرق حكاية قصّة أكثر من عشر دقائق، أو أقلّ من ذلك، لعدم قدرة الأطفال على التّركيز فترة طويلة، ولسرعة إحساسهم بالملل"[48]. وغيرُ هذا قد يؤثّر سلبا على شخصيّة الطّفل، وتنجم عنه عواقب غير محمودة. وعلى الأمّهات في هذه الفترة أن يروين لأطفالهنّ الكثير من القصص، لأنّ ذلك يجعل العقل وعاء لتخزين الألفاظ والعبارات، وسينمو –لا محالة– رصيد الطّفل اللّغويّ.

د. مرحلة الطّفولة المتوسّطة: Middle childhood من 06 سنوات إلى 08 سنوات

تبرز في هذه المرحلة رغبة الطّفل في الاستقلال عن أبويه، كما تتّسع دائرة مجتمعه الصّغير بدخوله المدرسة أين ينضمّ إلى أقرانه، سواء في المدرسة، أو الشّارع، فيتأثّر ببيئته الجديدة، وتزداد قدراته العقليّة، والمعرفيّة، ويتعلّم القراءة، والكتابة، فينطلق لسانه، ليمتلك قدرة على التّعبير خطّا، ولفظا، كما ينظمّ إلى جماعة الأصدقاء في ألعاب تفاعليّة، ومهاريّة، مع ملاحظة بداية اختفاء تلك النّشاطات المزعجة، والمفرطة الّتي لازمته سابقا، ويجب الإشارة إلى تباين الفروق الجسميّة بين الجنسين في هذه المرحلة[49]. كما تزداد ثقته بنفسه لما يربط الدّال بمدلوله، من خلال لغته المكتسبة، وخبرة المواقف الّتي عايشها ميدانيّا، أو تمثّلها من القصص، ليدمجها مع واقعه، ويجسّدها في واقعه.

وتسمّى أيضا بمرحلة الخيال المنطلق، والحرّ، لأنّ الطّفل يطلق العنان لخياله، فيجمع معارف، وخبرات كثيرة، تتعلّق ببيئته الضّيّقة، فتجعله "يتطلّع بخياله إلى عوالم أخرى، تعيش فيها الجنّيّات العجيبة، والحوريات الجميلة"[50]. فالقصص المثيرة بمشاهدها الخياليّة، والخرافيّة، والأسطوريّة، والعجائبيّة توفّر له المتعة، كقصص ألف ليلة، وليلة، الأقزام السّبعة، السّندباد البحريّ، علي بابا، المصباح السّحريّ، الحوريّات الجميلة، والعمالقة...

كما يتعلّم الطّفل في هذه السّنّ القراءة، والكتابة، ويزداد حبّه الاستطلاعيّ لمعرفة خبايا الأشياء، وتتّسع دائرة معارفه، فيكثر لديه الاستفهام، بحثا عن أجوبة تختلج ذهنه، وتأسره قصص المغامرة، والبطولة، والخيال، متعلّقا بأبطالها، وخير مثال على ذلك تقليده للشّخصيّات الكارتونيّة، والرّسوم المتحرّكة الّتي يشاهدها.

ويشترط في القصص الموجّهة له في هذه السّنّ أن تكون – زيادة على التّرفيه، والمتعة– تعليميّة، وهادفة بحيث تكسبه القيم، والأخلاق الفاضلة كالحبّ، والتّعاون، والخير، والإحسان... ثمّ إنّ شغفه بتمثّل المواقف وشخصيّات الأبطال في لعبه، يجعله يستفيد من النّماذج الّتي تؤثّر فيه، فيأخذ منها القيم المحمودة، ويقتدي بأبطالها قولا، وفعلا، لذلك "يجب أن تكون كتب الأطفال الّتي تقدّم للطّفل في هذه المرحلة معتمدة على أسلوب

شيّق، وغير مباشر في تقديم المعلومات، والحقائق، والآداب الاجتماعيّة، وغير ذلك ممّا نريد تقديمه للأطفال"[51].

وتُعرَف المرحلة أيضا بمرحلة الاستكشاف، والتّعرّف، فهو "يعرف الصّدق، والأمانة، والتّعاون، والشّجاعة، والعمل، ويريد أن يعرف، ويستكشف كلّ شيء، كأن يركب الحصان، والسّيّارة، كما أنّه في هذه المرحلة ينحاز الصّبيّ للّعب مع أقرانه الصّبية، وتتّجه البنت للّعب مع قريناتها من الفتيات"[52].

إنّ الأسطورة –بوصفها قصّة تعتمد الخيال– تُحقّق للطّفل المتعة، وتجعل "خياله أكثر من الواقع، بحيث يفضّل ركوب الحصان الحقيقيّ على العصا الّتي كان يعتبرها حصانا، ويكون أيضا غير قادر على إدراك الكثير من المعاني في هذه الفترة كالأخلاق، والمعايير الاجتماعيّة المختلفة، فغرائزه، وفطرته هي الّتي تُكوّن سلوكه، ولا يجدي معه النّصح الخطابيّ، وإنّما تقديم النّموذج، والقدوة، كالصّدق، والتّعاون، والإخلاص، وحبّ العمل" [53].

وتجب هنا الإشارة إلى أهمّيّة الصّورة كوسيلة تعليميّة، حيث "تأخذ الكلمات القليلة، المكتوبة بحروف كبيرة حيّزا صغيرا بجوار الصّور، يقرأها الكبير للصّغير، أو يتعلّم الصّغير قراءتها عندما يبلغ السّادسة، أو السّابعة لكن تظلّ الصّورة هي البطل الحقيقيّ لكتب الأطفال" [54]. وهذا ما تقوم به مدارسنا الابتدائيّة، حيث تعلّم التّلميذ التّعبير بالمشاهد، وصور الإيضاح.

هـ. مرحلة الطّفولة المتأخّرة: Late childhood من 09 سنوات إلى 12 سنة:

وهي مرحلة ما قبل المراهقة، وفيها: "يتباطؤ النّموّ مقارنة بالمرحلة السّابقة، ويزداد التّمايز، والنّشاط الجنسيّ، فتتّضح بعض الفروق الفرديّة بين أطفال هذه المرحلة، ويبدأ الطّفل في إبراز قدرته على تحمّل المسؤوليّة والتّحكّم في انفعالاته، فيتعلّم مهارات مختلفة، ويكوّن صداقات وعلاقات، وتبرز لديه القيم، والسّلوكيات، والميول ويباشر عمليّة الاندماج في المجتمع"[55].

إنّ طفل هذه المرحلة يجمع الخبرات من بيئته المتّسعة قليلا، ومن خلال اتّصاله بأصدقاء المدرسة، والشّارع يتملّك الرّغبة في استكشاف الحياة المحيطة به، وينجذب للقصص الخرافيّة، ويستغلّ فترة اللّعب في تقليد الشّخصيّات، وتقمّص الأدوار، وبزيادة نموّه العقليّ يتجاوز القصص الخياليّة، والحكايات الخرافيّة، إلى القصص الواقعيّة، أو القريبة من الواقع. كما يبرز في الطّفل حبّ السّيطرة، فيميل إلى قصص المغامرة، والبطولة، ويفضّل الواقع على الخيال، لذا يمكن القول أنّه "ينتقل إلى الواقعيّة، بعد أن يبتعد تدريجيّا عن الأمور الخياليّة، ويميل إلى الأعمال الّتي تظهر فيها روح التّنافس، والشّجاعة، والألعاب ذات الطّابع المهاريّ، والتّنافسيّ"[56]

وفي هذه السّنّ يكون الطّفل قد يقطع شوطا كبيرا في تعلّم القراءة، والكتابة، واتّسع قاموسه اللّغويّ، لذا نقدّم له قصصا واقعيّة تعرض المغامرات، وسِيَر الأبطال، والأحداث التّاريخيّة، والأفضل أن تكون مزوّدة بالرّسوم والأشكال، بِلُغة من قاموسه، وحتما سيجد ضالّته النّفسيّة فيها، لأنّها توهمه بالبروز، والتّفوّق على الأقران، فيهتمّ بالحقائق، ويخزّنها في عقله، كما "يستطيع إدراك المدلولات الزّمنيّة للحوادث التّاريخيّة، في نهاية تلك المرحلة" [57].

ويجب على الكبار، والمختصّين أن يختاروا لأطفال هذه المرحلة قصصا تخلو من الطّيش، والتّهوّر، والعنف ما دام "الطّفل يبتعد عن خيال التّوهّم، ليتّجه للقصّة القصيرة، وخصوصا ذات النّهايات المضحكة، أو الغريبة."[58] فهو في سنّ التّقليد، والاندفاع، والتّاريخ العربيّ الإسلاميّ ثريّ، وزاخر بالقصص الّتي تعنى بسِيَر الأبطال والعظماء، وما

تحمله من بطولة، وشجاعة، وفروسيّة، وحسن خلُق، وكرم، وإيثار، ومروءة. فالطّفل يتعلّق بالأبطال، والمغامرين، ويتمثّل أدوارهم، ويتقمّص شخصيّاتهم قولا، وفعلا. لذا وجب استثمار هذا الميل في تقديم قصص تربويّة، وذات أهداف شريفة، كقصص القرآن الكريم، وقصص الأنبياء، والرّسل، والصّحابة، والأبطال عبر التّاريخ، وسير عظماء الإنسانيّة، واغتنام حبّهم لقصص المغامرة، والبطولة، وحبّ السّيطرة، في غرس القيم والأخلاق الفاضلة، وتعليمهم قيم العمل، وطرق الكسب الحلال، وملأ أوقاتهم بالمطالعة، والرّياضة، لحمايتهم من الآفات، والسّلوكيات السّيّئة المهدّدة للمجتمع كالسّرقة، والتّدخين، والمخدّرات، وتعويدهم على الإيجابيّة.

و. مرحلة المراهقة واليقظة: Adolecence and awakening **من** 12 **إلى نهاية المرحلة:**

ويصطلح عليها بمرحلة المثاليّة، وقد قدّر المختصّون أنّ نهايتها تكون في سنّ الثّامنة عشرة، وهي أخطر المراحل، لأنّها جسر يُعبَرُ منه الطّفل إلى الرّشد. فالمراهق يميل إلى القصص الّتي تعرض البطولة، والمغامرة ممزوجة بالعاطفة، وتكثر لديه المثاليّة، فهو يشارف على البلوغ الجنسيّ، وفي حالة يقظة جنسيّة، لذا نجده يقحم نفسه في عوالم العلاقات العاطفيّة، وما تحمله من رومانسيّة، وحبّ، فيضعف أمام عواطفه، وميوله نتيجة تغيّرات جسميّة ونفسيّة، وانفعاليّة، قد تكون صعبة عليه، فلا يتحمّلها، وتزداد لديه الرّغبة في الاستقلاليّة، وفرض الذّات، وتوهّم الكِبَر، وادّعاء القدرة على تحمّل المسؤوليّة، واتّخاذ القرارات الحاسمة، لذلك توصف المرحلة بأنّها شديدة الحساسيّة لأنّها "انتقال من الطّفولة إلى الرّجولة، أو الأنوثة، لذلك يجب أن تكون كتب هذه المرحلة مناسبة لها" [59].

إنّ طفل المرحلة يميل إلى "قصص المغامرات، والبطولة، والقصص العاطفيّة الّتي تحكي عن الحبّ، والغرام والزّواج، بالإضافة إلى القصص البوليسيّة، والقصص الّتي تتعرّض للعلاقات الجنسيّة، والّتي تتحقّق فيها الرّغبات الاجتماعيّة، وأحلام اليقظة"[60]. ويتعلّق بمن يحبّهم، ويراهم قدوة، فيتمثّلهم، ويتقمّص شخصيّاتهم قولا، وفعلا.

وتقع على عاتق الكبار، والمختصّين مهمّة توجيه الأطفال إلى القصص الدّينيّ كقصص القرآن، وقصص السيرة النّبويّة، وإلى القصص الّتي تكبح الغرائز، وتهذّب العواطف، ولا بأس في القصص العاطفيّة، لكن وجب أن تكون شريفة، حافظة للعقل، والأخلاق، والسّلوك، وأيضا إرشادهم إلى "أعمال أدبيّة تبرز فيها روح المغامرة والشّجاعة، وهنا يفيد الطّفل الكثير من المسرحيّات البوليسيّة، وقصص الحروب الّتي تظهر شجاعة الأبطال وبسالتهم، وفي تاريخنا الكثير من البطولات الّتي تشبع نموّهم"[61]. بالإضافة إلى قصص المغامرات، والبطولة، والتّحدي، والشّجاعة، والقصص البوليسيّة الّتي تحارب الجريمة والانحلال. كما تحب مصاحبة المراهق في اختياراته وترشيد ميوله، وتهذيبها، وإعطائه مجالا للإبداع، والتّعبير عن الذّات، مع تفادي تعنيفه، أو الضّغط عليه، لأنّه يختلف عن طفل المراحل السّابقة، حيث " أساليب الفئة الأولى ضحلة، ساذجة بسيطة، ليس فيها صناعة، بينما أساليب الخيال عند المراهقين فيها تزيين، وزخرفة"[62]. ويتمّ كل ذلك بالتّوجيه، والمرافقة، والمراقبة.

والشّيء الملاحظ على الطّفل المراهق في هذه المرحلة هو إقباله الكبير على الفنون الأدبيّة بأنواعها، خاصّة القصّة، حيث "يعنى الفرد في هذه المرحلة بقراءة القصص الّتي تعالج المشكلات الاجتماعيّة علاجا ينتهي بانتصار الحقّ، والفضيلة، على الشّرّ، والرّذيلة"[63]. فهو يقبل على المطالعة الّتي تعرّفه بواقعه وعالمه، ويحاول أن يثبت لمن حوله

أنّ بإمكانه حلّ بعض المشكلات، واقتراح حلول لأخرى، وأنّه قد صار " قادرا على الإبداع في أفكاره، وتعابيره، من خلال ما يحسّ به، ويشعر به فنجد له مذكّرات يوميّة، وأشعار، وخواطر، وغير ذلك."[64] خصوصا، وأنّ لديه عوامل مساعدة على ذلك، أبرزها امتلاك القدرة على القراءة، والكتابة، مع توفّر المعلومات، والمعارف.

خاتمة:

أخيرا مكّننا هذا البحث من الوقوف على مدى احتياج الطّفل إلى الأدب بصفة عامّة، وإلى القصّة بوجه أخصّ، وقد أدركنا من خلال تتبّع تطوّر النّموّ لديه في هذه المرحلة أنّ الكبار ملزمون بإشباع الكثير من الاحتياجات الطّبيعيّة، والنّفسيّة، والعاطفيّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة للطّفل، وإلى جانب ذلك فهو يحتاج إلى كلّ ما يساهم في تكوين شخصيته، وبناء ثقافته، وإمداده بالقيم، والمواقف، والمعارف، والمهارات، والخبرات الحياتيّة وإعداده تربويّا، وأخلاقيّا للمستقبل القريب، والبعيد، وأمام ذلك؛ من الواجب على المهتمّين بالمجال عدم إغفال تغذية عقله، وفكره بما يحتاجه ثقافيّا، عن طريق التّركيز على استغلال شغفه بالفنّ القصصيّ، والحكائيّ، وميله إليه وتوجيهه إلى القصّة في كلّ فترة من مرحلة الطّفولة، سواء كمستمع، أو قارئ، لأنّها –القصّة– تؤدّي وظائف مهمّة في حياته، ويمكن حصر هذه الوظائف في:

_ **الوظيفة النّفسيّة:** تعوّد القصّة الطّفل على التّربية الجماليّة، والانفعاليّة، وتنمّي ذوقه، وتهذّب رغباته.

_ **الوظيفة التّرفيهيّة:** تحقّق القصّة للطّفل الامتاع، والتّرفيه، والتّسلية.

_ **الوظيفة التّربوية الأخلاقيّة:** تقدّم القصّة للطّفل القدوة، وتزوّده بالقيم، وتهذّب أخلاقه، وتبني شخصيته.

_ **الوظيفة اللّغويّة الثّقافيّة:** تثري القصّة القاموس اللّغويّ للطّفل بمفردات جديدة، ومعارف متنوّعة.

_ **الوظيفة المهاريّة:** تُكسِب القصّة الطّفل الخبرات، وتنمّي مهاراته الحسّيّة، والحركيّة، والعقليّة.

_ **الوظيفة الاجتماعيّة:** تربط القصّة الطّفل بواقعه، وتصوّر له المجتمع، وتعرّفه به، وتسهّل عليه الاندماج فيه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المعاجم العربيّة:

1/ إبراهيم مصطفى، وآخرون، (2004 م)، المعجم الوسيط، مادّة طفل، العمود 02، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط 4، مصر.

2/ أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، (1997 م)، لسان العرب، مادّة (طفل)، دار الفكر، د ط، بيروت، لبنان.

3/ أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور، (2005 م)، لسان العرب، ج 3، مادّة (قصص)، الدّار المتوسّطيّة، ط 1، تونس.

4/ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (1405 هـ)، لسان العرب، مادّة (نمي)، مجلّد 15، نشر أدب الحوزة، د ط، إيران.

5/ الخليل بن أحمد الفراهيديّ، (د.ت)، معجم العين، تح: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السّامرّائيّ، سلسلة المعاجم والفهارس، ج 7.

6/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (2005 م)، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط 1، الأردن.

المراجع:

1/ أحمد زلط، (1994 م)، أدب الأطفال، أصوله، مفاهيمه، وروّاده، دار الشركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن.

2/ أحمد زلط، (1998 م)، أدب الطّفل العربيّ؛ دراسة معاصرة في التّأصيل والتّحليل، دار هبة النّيل، ط 1، مصر.

3/ أحمد محمّد عامر، (1983 م)، علم نفس الطّفولة في ضوء الإسلام، دار الشّروق، ط 1، جدّة، المملكة العربيّة السعوديّة.

4/ أحمد نجيب، (1991 م)، أدب الأطفال؛ علم وفنّ، دار الفكر العربيّ، د ط، القاهرة، مصر.

5/ إسماعيل عبد الفتّاح، (2000 م)، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقديّة تحليليّة، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، ط 1، مصر.

6/ حامد عبد السّلام زهران، (د.ت)، علم نفس النّموّ (الطّفولة والمراهقة)، دار المعارف، ط 4، مصر.

7/ خضير سعود الخضير، (د.ت)، المرشد التّربويّ لمعلّمات رياض الأطفال بدول الخليج، مكتب التّربية العربيّ لدول الخليج، ط 7، الرّياض.

8/ الرّبعي بن سلامة، (2009 م)، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربيّ، دار المداد يونيفرسيتي، ط 1، الجزائر.

9/ سعيد زيان، (2007)، مدخل الى علم النفس النمو، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر.

10/ سمر روحي الفيصل، (1998 م)، أدب الأطفال وثقافتهم؛ قراءة نقديّة ـ دراسة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا.

11/ شاكر عبد الحميد، (2001 م)، سيكولوجيا الإبداع الفنّيّ في القصّة القصيرة، دار غريب، د ط، القاهرة، مصر.

12/ عبد الحميد ختّالة وآخرون، (2009 م)، أدب الطّفل بين الواقع والطّموح، مطبعة الثّقة، ط 1، سطيف، الجزائر.

13/ عبد الرّحمن محمّد السّيّد، (1995 م)، نظريّات الشّخصيّة، عالم الكتب، د ط، القاهرة، مصر.

14/ عبد الغنيّ الخطيب، (1980 م) الطّفل المثاليّ في ضوء الإسلام، الدّار العربيّة للعلوم، المكتب الإسلاميّ، ط 1، بيروت، لبنان.

15/ عبد الفتاح أبو معال، (1988 م)، أدب الأطفال؛ دراسة وتطبيق، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، ط 2، عمّان، الأردن.

16/ عوض عباس محمود، (1999 م)، المدخل إلى علم نفس النمو (الطفولة. المراهقة. الشيخوخة)، دار المعرفة الجامعية، د ط، القاهرة.

17/ العيد جلّولي، (2003 م)، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، دار هومة، ط 1، الجزائر

18/ محمّد حسن بريغش، (1996 م)، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط 2، بيروت، لبنان.

19/ محمد حسن عبد الله، (2001 م)، قصص الأطفال ومسرحهم، دار قباء للنّشر والتّوزيع، د ط، القاهرة، مصر.

20/ محمّد دياب مفتاح، (1995 م)، مقدّمة في أدب الطّفل، الدّار الدّوليّة للنّشر والتّوزيع، ط 1، مصر.

21/ محمّد مرتاض، (1994 م)، من قضايا أدب الطّفولة؛ دراسة تاريخيّة فنّيّة، دار المطبوعات الجامعيّة، د ط، الجزائر.

22/ محمّد يوسف نجم، (1966 م)، فنّ القصّة، دار الثّقافة، ط 5، بيروت، لبنان.

23/ محمود حسن إسماعيل، (2004 م)، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربيّ، ط 1، القاهرة، مصر.

24/ المنصف المرزوقيّ، (1987 م)، نموّ طفلك الجسميّ والحركيّ، الدّار التّونسيّة للنّشر والتّوزيع، د ط، تونس.

25/ نايفة القطامي، ومحمد برهوم، (1989 م)، طرق دراسة الطفل، دار الشروق للطّباعة، والنّشر، والتّوزيع، ط 1، عمان، الأردن.

26/ نجيب الكيلاني، (1986 م)، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسّسة الرّسالة للنّشر والتّوزيع، ط 1، بيروت، لبنان.

27/ هادي نعمان الهيتي، (1986 م)، أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، الهيئة المصريّة للكتاب، بالاشتراك مع دار الشّؤون الثّقافيّة، بغداد.

28/ يعقوب الشّاروبيّ، (2004 م)، تنمية عادة القراءة عند الأطفال، سلسلة اِقرأ، دار المعارف، ط 4، مصر.

رسائل جامعيّة:

1/ حسن أنور حسن الخطيب، (2011 م)، الحماية القانونيّة للأطفال أثناء النّزاعات المسلّحة، رسالة ماجستير، عمادة الدّراسات العليا، جامعة القدس، فلسطين.

2/ حمّو بن إبراهيم فخّار، (2015/2014 م)، الحماية الجنائيّة للطّفل في التّشريع الجزائريّ، والقانون، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الحقوق، تخصّص قانون جنائيّ، جامعة محمّد خيضر، بسكرة.

3/ زهراء خواني، (2008/1429 م)، أدب الأطفال في الجزائر، دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعاميّة 1990– 2004، أطروحة دكتوراه، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة، قسم الثّقافة الشّعبيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

4/ هوازن عثمان علي القاضي، (2009)، قصص الأطفال في الأردن؛ دراسة فنّيّة، أطروحة ماجستير للّغة العربيّة، الجامعة الأردنية، الأردن.

مجلّات ودوريّات:

1/ خالد الخطّاط، (2015 م)، مفهوم الطّفولة عند روسو من التّربية إلى علم التّربية، مجلّة نقد وتنوير، العدد1، المغرب.

2/ هادي نعمان الهيتي، (1988 م)، ثقافة الأطفال، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، العدد 123، الكويت.

مواقع إلكترونيّة وموسوعات:

1/ آلاء جابر: تعريف الطّفل، موضوع اطّلع عليه بتاريخ: 2025/02/07م، على السّاعة: 17:41.
https://mawdoo3.com

2/ سناء الدّويكات: مرحلة الطّفولة في علم النّفس، موضوع اطّلع عليه بتاريخ: 2025/01/06.
https://mawdoo3.com

الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: هادي نعمان الهيتي، (1988م)، ثقافة الأطفال، مجلّة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، العدد 123، الكويت، ص11.

[2] أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، (1997م)، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، لبنان، مادّة (ط ف ل)، ص2682.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (2005م)، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، الأردن، ص1025.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيديّ، (د.ت)، معجم العين، تح: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السّامرّائيّ، سلسلة المعاجم والفهارس، ج7، ص428.

[5] إبراهيم مصطفى، وآخرون، (2004م)، المعجم الوسيط، مادّة طفل، العمود02، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط4، ص560.

[6] حمّو بن إبراهيم فخّار، (2015/2014م)، الحماية الجنائيّة للطّفل في التّشريع الجزائريّ، والقانون، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الحقوق، تخصّص قانون جنائيّ، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، ص23.

[7] ينظر: آلاء جابر: تعريف الطّفل، موضوع اطّلع عليه بتاريخ: 2025/02/07م، على السّاعة: 17:41. https://mawdoo3.com

[8] حسن أنور الخطيب، (2011)، الحماية القانونيّة للأطفال أثناء النّزاعات المسلّحة، رسالة ماجستير، عمادة الدّراسات العليا، جامعة القدس، ص24

[9] إسماعيل عبد الفتّاح عبد الكافي، (2000م) أدب الأطفال، وقضايا العصر، الدّار العربيّة للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، ص18.

[10] خالد الخطّاط، (2015م)، مفهوم الطّفولة عند روسو من التّربية إلى علم التّربية، مجلّة نقد وتنوير، العدد1، المغرب، ص242.

[11] نايفة القطامي، ومحمد برهوم، (1989م)، طرق دراسة الطفل، دار الشروق للطّباعة، والنّشر، والتّوزيع، ط1، عمان، الأردن، ص17.

[12] أحمد زلط، (1994م)، أدب الأطفال، أصوله، مفاهيمه، وروّاده، دار الشركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، ط2، عمان، الأردن، ص16.

[13] هادي نعمان الهيتي، (1986م)، أدب الأطفال؛ فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، ودار الشّؤون الثّقافيّة، بغداد، ص13.

[14] محمّد حسن بريغش، (1996م)، أدب الأطفال أهدافه، وسماته، مؤسّسة الرّسالة للنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت، لبنان، ص13.

[15] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (1405ه)، لسان العرب، مجلّد 15، نشر أدب الحوزة، إيران، ص341.

[16] سعيد زيان،(2007)، مدخل الى علم النفس النمو، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، ص08.

[17] عوض عباس محمود، (1999)، المدخل إلى علم نفس النمو (الطفولة .المراهقة .الشيخوخة)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص12.

[18] أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، (2005م)، لسان العرب، ج3، مادّة قصص، الدّار المتوسّطيّة، ط1، تونس، ص3241.

[19] سورة القصص، الآية: 11.

[20] شاكر عبد الحميد، 2001، سيكولوجيا الإبداع الفنّيّ في القصّة القصيرة، دار غريب، د ط، القاهرة، مصر، ص17.

[21] محمّد يوسف نجم، (1966م)، فنّ القصّة، دار الثّقافة، ط5، بيروت، لبنان، ص09.

[22] محمّد حسن عبد الله، (د.ت)، قصص الأطفال؛ أصولها الفنّيّة، وروّادها، العربيّ للنّشر والتّوزيع، د ط، الاسكندريّة، مصر، ص09.

[23] أحمد زلط، (1998م)، أدب الطّفل العربيّ؛ دراسة معاصرة في التّأصيل والتّحليل، دار هبة النّيل، ط1، مصر، ص164.

[24] العيد جلّولي، (2003م)، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، دار هومة، ط1، الجزائر، ص52-53.

[25] زهراء خواني، (2008/1429)، أدب الأطفال في الجزائر، دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعاميّة 1990- 2004، أطروحة دكتوراه، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة، قسم الثّقافة الشّعبيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص07.

[26] أحمد محمّد عامر، (1927-2016م)، قارئ قرآن مصريّ، ولد بقرية العساكرة، بمحافظة الشّرقية، عيّن نقيبا لقرّاء القرآن الكريم بمصر.

[27] ينظر: أحمد محمّد عامر، (1983م)، علم نفس الطّفولة في ضوء الإسلام، دار الشّروق، جدّة، السعوديّة، ط1، ص55-115.

[28] خضير سعود الخضير، (د.ت)، المرشد التّربويّ لمعلّمات رياض الأطفال بدول الخليج، مكتب التّربية العربيّ لدول الخليج، ط7، 514، ص36.

[29] عبد الغنيّ الخطيب، (1980م)، الطّفل المثاليّ في ضوء الإسلام، الدّار العربيّة للعلوم، المكتب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط1، ص7.

[30] نجيب الكيلاني، (1986م)، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسّسة الرّسالة للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص20.

[31] هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، المرجع نفسه، ص194.

[32] سمر روحي الفيصل، (1998م)، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقديّة ـ دراسة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ص21.

[33] سورة الحجّ، الآية 05.

[34] سورة غافر، الآية 67

[35] حامد عبد السّلام زهران، (د.ت)، علم نفس النّموّ – الطّفولة والمراهقة، دار المعارف، مصر، ط4، ص102.

[36] سورة البقرة، الآية 233.

[37] سناء الدّويكات، مرحلة الطّفولة في علم النّفس، موضوع، اطّلع عليه بتاريخ: 2025/01/06. https://mawdoo3.com.

[38] المنصف المرزوقيّ، نموّ طفلك الجسميّ والحركيّ، الدّار التّونسيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، د ط، 1987، 13.

[39] محمّد مرتاض، من قضايا أدب الطّفولة، دراسة تاريخيّة فنّيّة، دار المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د ط، 1994، ص225.

[40] أحمد نجيب، أدب الأطفال؛ علم وفنّ، دار الفكر العربيّ، القاهرة، (د ط)، 1991، ص39.

[41] ينظر: عبد الرّحمن محمّد السّيّد، نظريّات الشّخصيّة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 1995، ص15-16.

[42] محمّد ذياب مفتاح، مقدّمة في أدب الطّفل، الدّار الدّوليّة للنّشر والتّوزيع، مصر، ط1، 1995، ص62.

[43] الرّبعي بن سلامة، (2009م)، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربيّ، دار المداد يونيفرسيتي، ط1، الجزائر، ص13-14.

[44] محمّد حسن بريغش، المرجع نفسه، ص161.

[45] عبد الحميد ختّالة وآخرون، أدب الطّفل بين الواقع والطّموح، مطبعة الثّقة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص76.

[46] هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال؛ فلسفته، فنونه، وسائطه، المرجع نفسه، ص31.

[47] ينظر: الرّبعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص17.

[48] يعقوب الشّاروبيّ، تنمية عادة القراءة عند الأطفال، سلسلة اِقرأ، دار المعارف، مصر، ط4، 2004، ص41.

[49] ينظر: حامد عبد السّلام زهران، المرجع نفسه، ص206-210.

[50] أحمد نجيب، المرجع نفسه، ص ن.

[51] محمّد دياب مفتاح، المرجع نفسه، ص66.

[52] محمد حسن عبد الله، قصص الأطفال ومسرحهم، دار قباء للنّشر والتّوزيع، القاهرة، د ط، 2001، ص37.

[53] ينظر: الرّبعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص17-18.

[54] يعقوب الشّاروبيّ، المرجع نفسه، ص78-79.

[55] ينظر: حامد عبد السّلام زهران، المرجع نفسه، ص233-234.

[56] محمود حسن إسماعيل، (2004م)، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط1، ص251.

[57] محمود حسن إسماعيل، المرجع نفسه، ص66.

[58] محمّد دياب مفتاح، المرجع نفسه، ص65-66.

[59] هوازن عثمان علي القاضي: قصص الأطفال في الأردن – دراسة فنّيّة – أطروحة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، 2009، ص50

[60] ينظر: أحمد نجيب، المرجع نفسه، ص44.

[61] محمود حسن إسماعيل، المرجع نفسه، ص252.

[62] هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، المرجع نفسه، ص147.

[63] ينظر: عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال، دراسة وتطبيق، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط2، 1988، ص23.

[64] ينظر: الرّبعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص21-25.